أهداف أم رغبات؟

٤ - كبيرٌ حاقد

صديقى، بالأمس ختمنا تأملنا بسؤالى لك عن رأيك فى الإبن الأكبر.

هذا لم يجرح الأبوة مثل أخيه، ظل ملازمًا لأبيه يخدمه بكل قوته، وربما تضاعف عليه العمل بسبب شقاوة ولهو الصغير.

ولكنه أيضًا كان بعيدًا عن أبيه، كانت له رغبة دفينة جعلته لا يتمتع بهذه الأبوة الحلوة، اسمعه يقول لأبيه فى غضب:

" هَا أَنَا أَخْدِمُكَ سِنِينَ هذَا عَدَدُهَا، وَقَطُّ لَمْ أَتَجَاوَزْ وَصِيَّتَكَ، وَجَدْيًا لَمْ تُعْطِنِي قَطُّ لأَفْرَحَ مَعَ أَصْدِقَائِي. وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ ابْنُكَ هذَا الَّذِي أَكَلَ مَعِيشَتَكَ مَعَ الزَّوَانِي، ذَبَحْتَ لَهُ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ!"

(لو ١٥ : ٢٩ و ٣٠)

آه يا مسكين، معك هذا الأب بهذا الحب وهذه الرقة وتنسى ذلك كله! تطمع فى جدى لتفرح به مع أصدقائك؟ ولعلك أجَّلت طلب الجدى من أبيك طمعًا فى أن يعطيك يومًا العجل المسمن لتلهو به! كانت عينك عليه تحلم بذبحه وتمرح وسط رفاقك أنت أيضا.

لا يا أخى، هذا العجل المسمن ليس للهو!

إنه محفوظٌ للذبح، ليُذبحَ عن كل خاطئ يعود تائبًا مثل أخيك، ليتك تدخل وتأكل منه فأنت فى احتياجٍ كاملٍ إليه مثل أخيك بل وأكثر.

هكذا كلاهما تجاهل الأب، الصغير طمع فى غناه والكبير طمع فى خيره. والأب المسكين موضوع القصة كلها وبطل الرواية، تم تجاهله.

ليتك يا محبوب تتجسس عن موضعك فى هذا البيت، أى الشخصيتين تريد أن تكون؟
أى الإبنين أنت؟
أسمعك تقول وأفرح بك جدًا:

* لا هذا ولا ذاك!
أنا إبنٌ ثالث، كنت فى فكر الآب،
إبنٌ خاضعٌ مطيعٌ يُقَدِّر الأبوة ويرى فى بيت أبيه الكفاية، يتجاوز الغنى والمال والقدرة وينظر إلى القلب المحب الكبير.
ويكفيه شبعٌ أن ينظر دومًا لوجهه ويظل دومًا فى كنفه فيرتاح ويفرح.

--عندك حق يا صديقى، ويفرحنى جوابك جدًا،
لقد كان كل رجاء الأب أن يكون الكبير هكذا.
فقال له: أنت معى كل حين وكل مالى فهو لك.
ولكن لما سمع منه حكاية الجدى الذى يحلم به،
فكر فيك أنت؛
تلك الصورة الحلوة للإبن الذى يرى فى أبيه كل الغنى.
فيدخل ويفرح بالخطاة، ولا يدينهم،
بل يرى نفسه أول الخطاة المحتاجين للوليمة،
كى تنتعش أرواحهم، وهو معهم.
قلها معى يا محبوب: ليتنى أكون هذا الإبن.

الاخ المحبوب، بديهى أن نعلم معًا، هذا الأب هو الله أبو ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، الذى تبنانا أنت وأنا، لم يدخر جهدا أو عملا، بذل إبنه الحبيب ولم يمسكه عنا، حبا بنا، لنفرح بأبوته وننعم بحبه كل النعم. له كل المجد